عالية الفارسي ..
لوحة إطارها الأفق

لوحاتي تظهر التقارب الروحي بين البشر

هكذا وصفها معد أو مخرج برنامج المشّاء الذي تنتجه قناة الجزيرة بحرفية رائعة، بأنها لوحة إطارها الأفق، يطوف المشّاء في هذا العالم ليلتقي بالمبدعين، كما هي التكوين، تستدعي المواهب وأصحاب الهمم والابداع لتقدم أجمل إنجازاتهم وطموحهم الذي يتحول إلى حقيقة.

حوار : سعيد بن خلفان النعماني

هنالك من يوثقون رابطًا عميقًا بين اللغة والرسم، فكلاهما يختزل ما تكنه النفس البشرية في كلمات منتقاة كما هي خطوط اللوحة وألوانها تفصح ولو من بعيد عن قصة لامست شغاف فرشاة صاحبها فجاءت مكتملة المعنى، مضيئة الأفق، معبرة عن ألف كلمة.

اللغة الصامتة بين الإنسان ولوحته التي أنتجها، وطبقات الصورة وتموجات خطوطها تدلل على طبقات متداخلة من السطح وحتى الأعماق، كل تلك الطبقات تقدم الفهم وتخبئ السر الدفين الذي استودعته إطارات اللوحة بكامل عنفوانها.

تجاوزت الأسئلة الدارجة حول بداياتها في الرسم؛ لأنها رسامة معروفة ولها سجل رائع من المشاركات المحلية الدولية، ولذلك توجهت بالسؤال حول مطرح التي عشقها الكثير من الفنانين.

- فقلت لها: كثير من الفنانين عشقوا مطرح واستهوتهم جبالها وقلاعها وبحرها الطويل وشاطئها الجميل. كيف أثرت مطرح في نفسية عالية ومدى تداخل تلك الصور في ذهنها وهي تنطلق عبر الفرشاة مبدعة أجمل اللوحات الفنية؟

- مطرح هي الأم التي تعلم صغارها لغة الجمال وحب الحياة. في كل شبر منها قصة عتيقة تُروى في وجوه ساكنيها و معمارها القديم؛ لذا كانت وما زالت مطرح خاصة وسلطنة عُمان عامة ملهمتي في جل أعمالي، فتجدني أستقي من ترابها، وبحارها وأفلاجها وسهولها وجبالها ألوانا وأفكاراً لا تنضب وفي أساطير قاطنيها وما تربطهم من شبكة معقدة من العلاقات. أجد قصصا لا بد أن توثق. كما أن للمدن القديمة غموضاً آسراً، شعرت به في أثناء زيارتي للقاهرة وإسطنبول وتيودلهي.

- إن اللوحة تظهر مشهدًا صيغ بعناية تامة ونفس عميق جدا.. لا ينقص لوحات الفنان سوى رائحة المشهد الحقيقي.. وعبير الأصباغ التي شكلت اللوحة. كيف استطاعت عالية أن تجعل الواقف أمام اللوحة يستدعي كل ذائقتها نظراً وسمعاً وشماً؟

أنتمي للمدرسة التجريدية والتعبيرية في الفن، لذا أطلق العنان لجوارحي عند الرسم وأفضفض على القماش الفارغ، متأثرة

بالشخوص والمواقف التي تحيط بي. أنا أجد في الفن متنفساً ألجأ إليه طمعاً في العزلة وهرباً من الضجيج، ولهذا تجد الكثير من المشاعر مسكوبة في أعمالي والتي تلامس قلب المتأمل ليصبح شريكاً لي في هذه الدّوامة من العواطف وشاهداً عليها.

- إن الصوفية المباشرة وغير المباشرة تحملها فرشاتك قبل أن تضعين الخط الأول على اللوحة. من أين أتت هذه الروحانية... هل تقرأين شعر ابن الرومي مثلا أو تجليات ابن الفارض.. فتخلطين حروفها بألوان لوحتك. وصولاً للسلام والأنس مع الذات؟

بالتأكيد، فللتصوف الفكري أثر كبير في حياتي. فمن خلاله أجاهد لأسمو بعيداً عن الحواجز المادية التي تفصل البشر، ومن خلال هذا الفكر أجد العشق والجمال في المخلوقات والخالق. فلأشعار ابن الرومي وفلسفة ابن عربي وكتابات شمس الدين التبريزي دور عظيم في عجن أفكاري، ولهذا أنا حريصة على أن أعكس جمال أرواحهم وحروفهم في أعمالي.

- اللوحة تأتي بعد معاناة وبعد إحساس داخلي دفين.. ماهي أهم رسالة تختمين بها لوحاتك.. أو أن لكل لوحة رسالة خاصة.. وكيف تحددين مدى يسر فهمها أو عمقها؟

لكل لوحة قصة تختلف شكلاً ومضموناً عن غيرها، فقد مررت خلال مسيرتي الفنية بمراحل مختلفة قمت خلالها باستخدام أساليب وتقنيات مختلفة في الرسم. ولعل رسالتي الأسمى - إن أجيز لي انتقاء واحدة - فهي أن البشر سواء في خلقتهم وفي أحلامهم وفي براءة طفولتهم وفي غرورهم وكبريائهم، لذا أجد أن ما يقرب بين أبناء هذا الجنس البشري أكبر وأعظم مما يفرقنا، وأحاول من خلال أعمالي إظهار التقارب الروحي بين البشر بمختلف أطيافهم.

- بين التأثر بمدارس فنية معينة مما يؤدي إلى تقليدها وتناسخها لدى الفنانين وإن تعددت لوحاتهم.. أين تضع عالية نفسها.. أم لها مدرستها الخاصة التي انطلقت منها؟

لقد تأثرت بالحركة التعبيرية التي انطلقت في أوروبا مطلع القرن العشرين، أي قبل الحرب العالمية الأولى بقليل. ولكني أوجدتُ لنفسي أسلوبًا خاصًا بغية الابتعاد عن التقليد والمقارنة بعمالقة ذلك العصر. بدأت - كحال معظم الفنانين- بالرسم الواقعي ومن ثم انطلقت في عالم التجريد في ١٩٩٣ حاولت خلالها صقل نمط خاص يساعدني على التعبير بكل أريحية ودون تكلف. في المدرسة التعبيرية، يتجاوز الفنان رسم الواقع ليرسم المشاعر مجردة من الجسد، فيرسم الخوف، والألم، والفرح وكأنه يمنحها وجها وألوانا.

السفر.. ماهي الإضافة التي توجت بها الانطباع الفني الخاص.. وهل الولوج إلى عالم المتاحف العالمية المعنية بالرسم.. شكلت بعداً آخر عند العودة.. بين عالمية اللوحة وبين صوفية المشاعر والأحاسيس.؟

ترحالي الدائم للعواصم والمدن الكبرى وسّعت مداركي الفنية ورفعت سقف طموحاتي في مجال الفن. المدن الكبرى تقدّر الجمال والفن بكل أشكاله، لذا أجد أن من أهم براهين التحضر والتمدن هو تقدير الفنانين والاحتفاء بأعمالهم.

- الطبيعة الجميلة في عمان هل استطاعت أن تنبه حسًا دفينًا في عالمك الفني.. بيئات مختلفة ربما في منطقة واحدة؟

- بالتأكيد، وكل ذلك يتجسد جليا في لوحة "في عيني ثورة مشاعر" التي كانت مخاض جولات عديدة قمت بها في بلدي، حيث رأيت سحر الطبيعة في كل مكان وأثر هذا السحر على جوارحي. هناك مشاعر دفينة يختزلها الإنسان لمدة طويلة ويصعب على أي كان استخراجها، إلا الطبيعة، فهي البيت الذي يحتضن سكان هذا الكوكب، ويمكنها أن تفجر فينا الكثير من المشاعر الهامدة.

- جمعية الفنون التشكيلية.. دورها في الالتقاء مع فنانين آخرين.. ذوائق مختلفة

ورؤى حالمة بعيدة.. وواقعية ربما تكون بعيدة عن الواقع.. كيف كانت عالية بعد انضمامها لجمعية الفنون التشكيلية وكذلك المشاركات الفنية داخل عمان وخارجها.؟

دخلت الجمعية في سن مبكرة للتعرف على الفنانين والاستفادة من الورش، ولكني فضلت أن أعمل بصورة مستقلة لبناء شخصيتي الفنية بعيدًا عن الحراك الفني المؤسسي حيث أرى أن العمل بشكل فردي يعلمني الكثير رغم تحدياته الكثيرة.

- اللوحة القريبة إلى القلب أو أنها ولدت في ظروف خاصة. ماهي هذه اللوحة. وكيف يمكن للوحة أن تكون أرشيفًا خاصًا يعتز به الفنان.؟

تربطني محبة وذكريات طويلة مع كل لوحة لدرجة أنني أجد صعوبة في توديعها عندما أقوم ببيعها. أما فيما يتعلق برواق عالية، فإن لوحة (ولكن في الغالب أنا) هي الأكثر تميزاً حيث قمت برسمها كمكافئة لي بعد إنجاز المشروع وهو عمل مليء بالرمزيات والتفاصيل التي أعتز وأتفاءل بها. وكل من زار الرواق يلاحظ أني علقت اللوحة في زاوية خاصة لجعلها تبدو وكأنها تشرف على صالة العرض وتعطيهم شيئا من بريقها وعنفوانها.

- الفن التجريدي. كيف علاقتك معه. وهل استطاعت زواياه الفنية ومربعاته ومثلثاته. إن كانت تحمل في طياتها شيئاً من خلاصة التجربة التشكيلية التي مررت بها.؟

-التجريد عالم مختلف تماما وجديد على مجتمعاتنا نسبيا، فعلى الرغم من أنه يبدو بسيطا في بادئ الأمر، إلا أن الخبرة والمهارة في اختزال أكبر عدد من المعاني والعواطف في مستطيل واحد يعد تحديا مؤرقا لكثير من الفنانين.

- هل المطلوب من الفنان أن يقدم كل شيء ويصرح عما في نفسه ويملأ لوحته بكل التعبيرات. أو أنه يجعل مساحة حرة للمتلقي ومتذوق الفن أن يبحر من خلالها ليرسم لوحة فنية أخرى بداخله العميق.؟

بالطبع، فالغموض مطلب أساسي ليستلذ المتلقي بفهم اللوحة حسب تجربته ووفق توجهاته. من خلال الزيارات للرواق وجدنا تقاربًا كبيرًا بين رؤى المتلقي ورؤيتي وأحيانا نجد تطابقا في الفهم. ولكني أسعى دائما إلى أن يكون العمل متجردا من الشروحات المفصلة ليراها الزائر بعين قلبه دون مؤثرات خارجية.

مشروع اللوحة. أي لوحة، هل يرتبط بزمن معين أو بحالة الإفراغ النفسي التعبيري. والاحتفاء بإنجازها.. كيف يكون.؟

بالتأكيد، كل لوحة هي نتاج تجربة مررت بها، سواء كانت متعلقة بالتأمل، أو الطبيعة، أو الشخوص والمواقف. فلا أضع فرشاتي على قماش الكانفاس إلا لغاية. ورغم أنني لا أتخيل الشكل النهائي للعمل عند البدء به إلا أن رسالة العمل ومضمونه ثابتان لا يتغيران.

كثير من الفنانين يجعلون شيئا معينا يتحدث في لوحاتهم. فيما تبقى بقية أجزاء اللوحة صامتة. ما الذي يتحدث في لوحات عالية.

الوجوه. أجد في وجه الإنسان وعينه الكثير من الانفعالات، فالعين تتحدث بكل اللغات وتسهب في حديثها. لذا أجد في العين ملاذا لسكب مشاعري ووسيلة فعالة للتواصل مع المتلقي.

الأزياء العمانية وما تحمله من خصوصية بالغة لاسيما الألوان والمكونات. كيف تندمج في لوحات عالية التعبيرية.

الأزياء في أي ثقافة هي إنعكاس للموروث غير المادي، فهي شكل من أشكال التعبير التي تكشف لنا صلابة المرأة العمانية، وحبها للحياة. يمكن للناظر أن يستشف من خلال ألوان الأزياء العمانية البهية ما تتمتع به المرأة من جرأة وذوق رفيع. كما أن التطريزات الفاقعة والاكسسوارات الفضية والذهبية هي ميزة تفردت بها الأزياء التقليدية في بلدي.

مادا عن الخروج من إطار اللوحة البيضاء إلى فضاء أوسع- الجداريات- والخشب والحجر. وكذلك نحت الفكرة في تلك المكونات الصخرية والخشبية- تجربة عالية في هذا المجال.؟

عندما أنظر إلى أي قطعة خالية من الألوان، حجرًا كانت أو خشبًا أو حتى قطعة من الأثاث، أشعر وكأنها تستفزني لأرسم عليها. فكما يستهويني الفن، أحب أن أراه في كل ما حولي وخصوصًا في مقتنياتي، كما أؤمن أن إعادة تدوير الأشياء ممكنة جدًا إذا ما تم تحويلها لعمل فني.

في عمان تنتشر زخارف وألوان خاصة ربما نجدها في قبب المساجد وأسقف البيوت الطينية. هل اقتربتِ من هذا المجال- وهل يمكن توظيف تلك الزخارف في أعمال فنية عالمية لتسويق التراث العماني؟

نعم أنا عاشقة لهذه الزخارف فهي جزء لا يتجزأ من هويتي، وأحرص على أن أبرزها في أعمالي، فالنقش الإسلامي والشرقي حاضر في كل أركان رواق عالية.

توجد من بيننا نماذج من الشباب الرسامين التشكيليين- ولكنهم غير معروفين- و تجاربهم لا تعدو كونها مواهب فنية لم تختلط بما يكفي مع رواد الفن التشكيلي- ماحاجتهم- وكيف يروجون لأنفسهم.؟

الشباب بحاجة أكبر إلى الإيمان بما يقدمونه بالإضافة إلى النفَس الطويل. الاستسلام في سن مبكرة أمر شائع عندما لا يحصل الفنان على التشجيع الكافي. خصوصًا أن الأسر في منطقتنا لا يميلون إلى تشجيع أبنائهم على الدخول في عالم الفن خوفًا من التحديات الاقتصادية. ولكن الفن كالنخلة، بطيئة في نموها، ولكنها عندما تثمر، كريمة بعطائها. أعتقد بأن الترويج في عصرنا بات سهلا بفضل مواقع التواصل التي فتحت المجال للجميع لتقديم أعمالهم لمختلف شرائح المجتمع، ولكن الفنانين بحاجة أيضا إلى بناء شبكة من العلاقات سواء مع أقرانهم الفنانين أو مع مؤسسات المجتمع المدني داخل السلطنة وخارجها حتى تُفتح لهم آفاق أرحب للتعاون وتنظيم المعارض بغية الالتقاء بالمهتمين بأعمالهم والحصول على توجيه مجاني.

هل تضيف المعارض والمشاركات الفنية العالمية قيمة معينة للفنان؟. وماهي أهم التحديات التي يمكن أن يواجهها الفنان في هذا المجال.؟

بالتأكيد، فهذه المشاركات ساعدتني في بناء ثقتي بنفسي كفنانة والتعرف على فنانين من مختلف القارات والمدارس الفنية. في اعتقادي أن المشاركات الخارجية باتت ضرورة لتوسيع مدارك

الفنان للاستفادة من تجارب الآخرين، كما أنها تعطي وزنًا للفنان وتضيف إلى رصيده المعرفي. أما فيما يتعلق بالتحديات، فإن الفنانين العمانيين بحاجة للاجتهاد وتكبد بعض المجازفات المالية لتمويل رحلاتهم ومشاركاتهم حيث إن الدعم الحكومي للفن محدود وقد لا يستفيد منه الفنانون الشباب تحديدا.

هل يمكن نقل الموهبة أو تدريبها للآخرين- أم هناك استعداد سابق وموهبة موجودة لدى المتدرب؟

في الفن، الموهبة عادة ما تكون مختبئة على استحياء، بحاجة إلى من يغذيها بالشجاعة الكافية لتظهر في العلن، متجردة من الخوف وغير آبهة بالنقد الجارح. عندها فقط يمكن للموهوب الانطلاق في عالم التدريب. ولكن شخصيا أعتقد أن كل إنسان موهوب بطريقته وهو بحاجة فقط لأن يكتشف ذاته والمدرسة الفنية التي ينتمي إليها في وقت مبكر.

حرية الفنان في رسم أي شيء يخطر بباله. ومدى أن تتعدى تلك الحرية للعرض خارج المرسم.. هل يحدث معك- أم أن جميع لوحاتك مهيأة للعرض بكل ما تحمله من أفكار وخصوصية؟

بعض الأعمال قد تكون خاصة جدا أو قد تُفهم بصورة غير صحيحة؛ لذا أتحفظ على عرضها في المعارض العامة.

كيف تنظرين إلى الفن التشكيلي هل هو ضرورة للإنسان أو أنه مجرد رفاهية وترف. وما مدى الإضافة الجمالية التي يضيفها للمجتمع أو للفنان نفسه؟

هو ضرورة لكل المجتمعات. فمثل ما يُنظر للكتابة على أنها ضرورة لإفراغ الحصيلة المعرفية أو العاطفية للكاتب، فكذلك الفن، بحاجة إلى أن يبرز ليعطي المجتمعات لونًا وهوية مسجلة.

هل يمكن يتحول الفن التشكيلي إلى صناعة أو إلى نشاط تجاري يكون له مردود اقتصادي. لاسيما مع الانفتاح السياحي.؟

لطالما كان الفن مصدر دخل عظيم للفنانين عبر العصور. ولكن مع زيادة العرض وتفاوت حجم الطلب، يصبح نشاط بيع الأعمال الفنية أكثر تحديًا، ولكن في المقابل، فإن الإقبال على زيارة المعارض وشراء التذكارات في ازدياد مطّرد وهذا ما قد يشكل بديلا ماليا جيدا خصوصًا مع الانفتاح السياحي. كل هذا يعتمد أولا وآخرا على موهبة الفنان ونجاح المعرض في تقديم تجربة روحية وفنية متفردة للزائر.